الأدب الشعبي

قراءة في أوراق الجنادريّة

سعد الحميدين

تتجلى العلاقة المعرفية في عالمنا اليوم في أبهى صورها، عبر هذه الثورة التقنية الممثّلة في آليات الاتصال، وما تبديه وسائلُ الإعلام والقنواتُ الفضائية من استثمار للحظات البثّ في طرح الثقافات المتعدّدة، المتآلفة والمتخالفة معاً.

وفي يقين ذلك، فإنّ الإنتاج المعرفي للعالم يصبو إلى التكامل عبر الحوار، وإلى إثارة المفاهيم والاصطلاحات وطرحها للنّقاش والبحث المنهجي الموضوعي الذي يفند الظواهر، ويدلل على مدى مصداقيتها في تمثّل وقائع الحياة المعاصرة.

من هنا كان انطلاق المحور الرئيسي لمهرجان الجنادرية الحادي عشر للتراث والثقافة، والذي التقط السؤالَ الذي يشغل عدداً من الباحثين والمفكّرين والقرّاء في العالم اليوم. وهو سؤال يتضمّن هوامش عميقةً تكتنف العلاقةَ بين طرفين مؤثّرين في مجرى الحضارة الإنسانية. فكان هذا المحور «الإسلام والغرب» الذي جاء معبّراً عمّا تجوس به الرؤيةُ المتابعةُ القارئة المفكّرة في مضامين الواقع، بسطوحه وأعماقه؛ وهذا مما يُحسب للمهرجان الوطني لكونه يهتمّ بتوسيع الأفق المعرفي المعيش ومتابعة إشكالاته.

والظاهرة الماثلة للعيان، هي أن المهرجان لم يتكفِ باستضافة عدد من المفكّرين المسلمين البارزين، بل استضاف أيضاً عدداً من المفكرين الغربيين المعنيين بالعلاقة بين الإسلام والغرب، والمنظّرين لهذه العلاقة والمحدّدين لسماتها...، الأمر الذي أزرَ الرؤيةَ الباحثة، وفجّر كثيراً من الطروحات المهمّة من المشاركين العرب والمسلمين، مساهمين وجمهوراً.

وفي هذه السطور سنحاول أن نقارب أبرز الرؤى التي طرحتها الأوراقُ المقدّمة لمهرجان هذا العام. وسنخلي أنفسنا بدئياً للأوراق الخاصّة بالأدب المحلي، ثم نتبعها بالخلوص إلى الأوراق والأبحاث التي قُدّمتْ في إطار المحور الرئيس «الإسلام والغرب».

● العقيلي، شاعراً وباحثاً:

قدّم د. محمد بن سعد بن حسين ورقة بعنوان: «التعريف بجهود العقيلي في الأدب والفكر». وكانت الورقة احتفائيةً راصدة لجهود العقيلي، وذلك في مناسبة تكريمه في مهرجان هذا العام. وقد استعرض ابن حسين في ورقته الحياةَ العلمية للعقيلي، بدءاً من مولده في منطقة جازان، وتردّده على العلماء منذ الصبا، وتنقّله في المراحل التعليمية والوظيفية المختلفة. واعتبر الباحث أنّ التعريف بجهود العقيلي وذكر مناقبه البحثية هو الأمر الأوْلى بالبحث، ولذلك فقد قام برصد مؤلّفات العقيلي التي صنّفها في أربع مجموعات: ١) الأدب، ٢) التاريخ، ٣) الشخصيات والأماكن، ٤) البقاع والتراث...

● فنون سردية:

في بحثين متميّزين قدّم كل من الناقدين د. محمد صالح الشنطي، والدكتور معجب الزهراني آراءهما عن العناصر الجمالية التي تشكّل النسق السردي في كل من القصّة القصيرة والرواية في المملكة السعودية.

جاء البحث الأوّل للشنطي بعنوان: «الظواهر الفنيّة الحديثة في القصّة السعودية القصيرة» يجول في أغلب الظواهر التي تشكّل العصب الجماليّ الرئيسَ في القصّة المحليّة مؤتزراً بمسوح مقولة «التناصّ»، راصداً المكوّنات التناصيّة وتنوّعها في القصّ، رائياً إلى أنّ التجريب ذو ملامح متعدّدة، وهو لا يقوم على ابتكار تقنيات جديدة لا جذور لها، بل يعيد صياغة هذه التقنيات. ولهذا كان «التناصّ، في اعتقاد الشنطي، أبرز تضاريس التجديد. والمقصود بالتناصّ - كما يرى - هو «ذلك النّوع القائم على الاستحضار الموظّف للنصوص على نحو يخدم رؤية الكاتب ويؤدّي إلى تكريس جماليات محدّدة تنتظم في السياق الكلّي للتشكيل». وقد رصد الباحث بعضَ العناصر التناصيّة في جسد النصوص القصصية المحليّة وأبرزها في عدّة أمور:

أولها: توظيف آيات القرآن الكريم وصوره، ودلل على ذلك ببعض قصص «محمد علي قدس» مثل قصّة «هجرة النمل إلى الجسد» وقصة «طوفان يأخذ أحلام الغربة»..

ثانيها: تناصّ يتمّ على مستوى تشكيل الشخصية، كما لدى عبده خال في شخصية «رشيد الأعمى» وتناصّه مع شخصية «المتسوّل الأعمى» في رواية **الطريق** لنجيب محفوظ.

ثالثها: تناصّ يتمّ مع النصوص الشعبيّة الشفاهية، كما عند عبده خال ولا سيّما في مجموعته **لا أحد**.

رابعها: تناصّ يعتمد على المحاكاة

الساخرة، كما في قصص حسين علي حسين، ومحمد علوان.

خامسها: تكوينات تناصّية ترتبط باستدعاء الأغنية، واستلهام الموروث الشعبي.

ورأى الباحث أنّ التناصّ في القصّة السعودية القصيرة غيرُ منبّت الصلة كظاهرة فنيّة عن النصّ القصصيّ العربي عامّةً، ولكن خصوصيته تكمن في نوعية النصوص التي يتم التداخل معها. ورصدالشنطي بعد ذلك ظواهر أخرى ترتكز أساساً على مفهوم التناصّ – أو كما يرى توظيف التراث، وتداخل الغرائبي والشعبي وتجلّيات ذلك موروثاً ولغةً وواقعاً. واتّخذ لذلك أمثلة من بعض القصص لدى محمد علوان، وعبده خال، وجار الله الحميد، وعبد الله باخشوين، وأحمد بوقري، وحسين علي حسين، وعبد الله الصقعبي، وتركي العسيري وآخرين.

أما الزهراني فقد تحدّث عن الرواية، واقعها وأفقها، منطلقاً من فرضية «الحوارية» التي جاء بها «باختين». وقال: إنّ قلةَ الإصدارات الروائية المحليّة ونوعيتها ينتجان أزمةً جمالية بالأساس. وتحدث عن الأعمال الروائية الأولى بدءاً من أحمد سباعي والأنصاري ومحمد علي مغربي، فرأى أنّ الروايات الصادرة حتى الآن لا تكفي لتطوير مفهوم الرواية المحلية. وأضاف أنّ الذهنية الحوارية غائبة قليلاً عن الرواية في الداخل. واعتبر أنّ الأغنية، والأيديولوجيا، والمسرح، والسينما هي أشكالٌ حوارية لكنّها لا تنمو في خطابنا الروائي. وعدّدَ مظاهرَ أزمة الرواية المحلية وإشكالياتها، والمتمثّلة في نشر الإبداع الروائي في خارج المملكة، كما نرى لدى عبده خال وغازي القُصيْبي مثلاً.

بعد ذلك فتح د. سعد البازعي، الذي أدار الندوة، بابَ التعقيبات والمداخلات. فبدأ د. عبد السلام المسدّي بسؤال: إلى أيّ مدى كان «التناصّ»... هو المصطلح الأصلح لتركيب السرد الجديد في القصّ؟ ووجه كلامه إلى الشنطي:– أوّلا ترى أنّك استدرجت مصطلح التناصّ إلى آليات تقليدية؟ ثم تحدّث كلٌّ من د. صلاح فضل، وسعد القفطاني، عن المصطلح، وعن الإيغال في الرّمز ومدى تعبيره عن الهمّ الاجتماعي.

والواقع أنّ هناك تساؤلات حول ورقة الشنطي، يمكن أن تتبدى في التالي:

١ – عمومية البحث، وعدم تخصيصه لساحة زمنية قصصية معينة، ورصد بعض التأثيرات التراثية دون البعض، مع عدم الأخذ بعين الاعتبار تدقيقَ المصطلح.

٢ – عدم التفريق بين جيل وآخر بالنسبة لاستثمار مفهوم «التناصّ»، وهل يتأتى ذلك نتيجة ترميز ما أو «تقنّع»، أم يأتي ذلك بشكل تلقائي لا تمارسُ فيه المخيّلةُ القاصةُ البحث عن دلالاتٍ للحكم مسجّاة وراء اللّغة؟

٣ – إنّ فكرة التجميع والمسح الأفقي لتوارد «عناصر تناصية» في القصّ لا تكفي للحكم على أنّ ظاهرة التناصّ هي الأصلح لممارسة قراءة جمالية. ثم كيف يمكن تنمية مفهوم جمالي عبر الطرح الاجتماعي للقصص؟

٤ – الاكتفاء بالقصص التي يكتبها القاصُّون فحسب، عدا نموذجين هما: مريم الغامدي وشريفة الشملان، مع أنّ القصّ النسوي – إذا أطلقنا هذه المصطلَح بشكل إجرائي لا يفرّق تماماً بين نَمَطَي القصّ – له سطوةٌ وحضورٌ في المشهد السرديّ المحلّي.

● الإسلام والغرب وصدام الحوارات.

جاء محور «الإسلام والغرب» بمثابة التجلّي الحقيقي للنشاط الثقافي في مهرجان هذا العام. وكانت معظم الندوات التي أطّرها هذا المحورُ ندواتٍ فاعلةً أثارت الحراكَ التساؤليّ لدى المتلقّي فشارك بكثافة بادية طوال الندوات التي أحياها عددٌ من المفكّرين والمثقّفين والكتّاب من أمريكا وأوروبا ومن البلدان العربية والإسلامية بالإضافة إلى مثقّفي المملكة وكتّابها.

وقد أقيمت الندواتُ في قاعة الملك فيصل بفندق الانتركونتيننتال، وبلغ عددها ثماني ندوات، دارت كلُّها حول هذا المحور وذلك من عدّة زوايا:

١ – موقف الإسلام من الأديان والحضارات الأخرى – رؤية شرعية.

٢ – الإسلام والغرب... الجذور التاريخية.

٣ – التجربة السعودية في خدمة الإسلام في الغرب.

٤ – موقف الغرب من الإسلام – رؤية معاصرة.

٥ – الخطر الإسلامي على الغرب بين الحقيقة والوهم.

٦ – مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب – وجهة نظر

٧ – الموقف الإسلامي من الغرب – رؤية معاصرة.

٨ – الإسلام والغرب – رؤية مستقبلية.

وقد شارك في هذه الندوات الثماني نحو ٢٧ باحثاً ومفكّراً وناقداً هم: جعفر شيخ إدريس، عبد الرحمن المطرودي، فهمي جدعان، عبد الجليل التميمي، محمد حرب، عبد العزيز راشد العبيدي، فهد السماوي، عبد الله التركي، محمد علي الهرفي، جورجين نلسون، خالد بلانكنشيب، مراد هوفمان، عبد العزيز السويل، صامويل هانتنجتون، جون اسبوزيتو، خليل عبد الله الخليل، رالف برايبانتي، أمير طاهري، أحمد سيف الدين، علي مزروعي، إبراهيم جوب، أبوبكر باقادر، عبد القادر طلاش، عثمان الرواف، انجمر كارلسون، توفيق القصير، وجيمس زغبي. وقد تغيب عن المشاركة كل من: برهان غليون، وجاك فريمو، وأكبر أحمد، وكان إدوار سعيد قد اعتذر عن عدم الحضور لظروف مرضية. كما لم توجه الدعوة لبعض المهتمّين بهذا المحور أمثال: محمد أركون

ومحمد عابد الجابري وحسن حنفي وغيرهم. ومن الملاحظ أنّ ندوات المحور قد احتشدت لأمرين، **الأول**: علاقة الإسلام بالغرب من وجهة نظر إسلامية، وكيف ينظر المسلمون لهذه العلاقة، وقد مثّلتها أوراقُ كلٍّ من: جعفر شيخ إدريس (السودان) في ورقته «موقف الإسلام من الأديان والحضارات الأخرى»، وفهمي جدعان (الأردن) في ورقته «الإسلام وتحوّلات الحداثة»، وعبد العزيز العبيدي (المملكة) في «التأثيرات الحضارية الإسلامية على الغرب الأوروبي خلال الحروب الصليبية»، وورقة عبد الله بن عبد المحسن التركي في محاضرته «المملكة العربية السعودية وخدمتها للإسلام والمسلمين في الغرب»، وورقة مراد هوفمان (ألمانيا) المعنونة بـ«العقلية الأوروبية والإسلام»، وخالد بلانكنشيب (أمريكا) في «نظرة الغرب إلى الإسلام نظرة معاصرة في الولايات المتّحدة الأمريكية»، وهشام ملحم (لبنان) في ورقته «الخطر الإسلامي على الغرب بين الحقيقة والوهم» وآراء شفهية أبداها أمير طاهري (إيران) في إحدى الندوات التي شارك فيها، وإبراهيم جوب (السنغال) وعثمان الرواف (المملكة) في ورقته «العالم الإسلامي والغرب».

وأما الجانب **الثاني** فقد كان هو المتعلّق بموقف الغرب من الإسلام، وكان أبرز ممثّليه البروفسور صمويل هانتنجتون (أمريكا) في ورقته عن التحديّات التي تواجه كلاً من الإسلام والغرب، وورقة جورجين نلسون J.S. Nielsen المعنونة بـ«الإسلام وأوروبا» وورقة رالف بريبانتي Ralph Braibanti المعنونة بـ«مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب»، وآراء جون إسپوزيتو حول الموضوع نفسه.

ولنعرض بإيجاز لكلا الموقفين اللذين أطّرا لِمحور هذا المهرجان، وشغلا الكتاب والجمهور طوال فترة المهرجان.

تشوّنات الإسلام إلى الغرب والحضارة

في «موقف الإسلام من الأديان والحضارات الأخرى» قدم د. جعفر شيخ إدريس رؤيةً شرعيةً للعلاقة بين الإسلام والغرب، ركّز فيها على طرق التعامل مع غير المسلمين. ولمّا كانت هذه الرؤية تركّز فحسب على الجانب الشرعي، فإنّها تمهّد السبيل لكي تستند العلاقاتُ الأخرى ثقافياً ومعرفيّاً، على بعض الأسس الشرعية، التي لم يرفض فيها الدينُ الإسلامي التعامل مع الآخر، ولم يدعُ إلى الانعزال. وتحدّث د. جعفر عن عدّة نقاط:

١- صدام الحضارات، وهل هو أمر لازم؟ فَعَرَض وجهات نظر مختلفة في مسألة الصدام الحضاري. فبعض المفكرين في الدول الكبرى يرى أنّ الصدام آتٍ لا محالة؛ وبعضهم يرى أنّ الصراع الثقافي بدأ داخل الحضارة الغربية نفسها؛ ويرى فريق ثالث أنّ التعايش السلمي بين الثقافات والحضارات ممكن إذا اتّخذ النّاس سبيل الديمقراطية.

٢ - طبيعة العصبيات الثقافية. ورأى إدريس أنّ القرآن الكريم فيه الهداية في كلّ الأمور الدنيوية والأخروية، وقال بأنّ كلّ جماعة من البشر ترى أنّ ما هي عليه من المعتقد والقيم أفضلُ ممّا عليه غيرُها، وبالتالي فإنّهم لا يرضون إلاّ عمّنْ كان على شاكلتهم، وأن تكون قيمُهُمْ هي المسيطرة. وهكذا تتشكّلُ العصبيات الثقافية.

٣ - الموقف الإسلامي. ورصد إدريس في هذه النقطة الموقفَ من المعتقدات، والموقف من المعتقدين مسلمين وغير مسلمين. فدعا إلى أن نتناول هذه الأمور بعقلانية تتّفق وطبيعةَ الزمان والمكان.

٤ - وحدّد إدريس الموقفَ الذي يجب اتباعُه في الظروف الراهنة إزاء الحضارات الأخرى وذلك في أربعة واجبات وهي كما يرى:

أ - الدعوة إلى الحق.

ب - إعداد القوّة الرادعة

ج - الجنوح للسلم

د - تبادل المنافع

وتساءل إدريس: إن هانتنجتون يخبرنا بأنّ أهمّ مكوّنٍ للحضارة هو الدين، فهل يقول: إن الكنفوشستيّة أقربُ إلى الإسلام من النصرانية؟ ما أظن أحداً يعرف الديانتين ويعرف مكانَ النصرانية واليهودية في الإسلام بالنسبة إلى غيرهما من الأديان، يمكن أن يقول هذا. وإذنْ فإنّ السبب الحقيقي لهذا التعاون إنْ حَدَثَ لن يكون نابعاً من طبيعة الحضارتين، بل من معاملة الحضارة الغربية لهما.

وإذا كان إدريس قدم رؤية شرعيةً للموقف من الغرب، فإنّ عبد العزيز العبيدي قد قدّمَ رؤية تاريخيّة، وذلك عبر ورقته المعنونة بـ«التأثيرات الحضارية على الغرب الأوروبي خلال الحروب الصليبية»، تطرق فيها إلى مصطلح «الحروب الصليبية» في نطاقها الزمكاني، ورَصَدَ الدوافعَ والأسبابَ والنظرة الاستعمارية المختبئة وراء ستار الدين، وعرض آراء بعض الباحثين التي تصوِّر أثرَ الحروب الصليبية على الغرب الأوروبي، وهي أربعة آراء، **الأول**: ينفي وجود تأثير للشرق الإسلامي وذلك لأنّ الصليبيين جاءوا محاربين ومعادين للمسلمين وأنّ الحضارة الإسلامية كانت آخذة في التدهور وحضارة أوروبا كانت متداعية ولذلك لا مجال للتفاعل. **والثاني**: يقول بالتأثير المحدود من الشرق الإسلامي على أوروبا. **والثالث**: يرى أنّ ا لحروب الصليبية هي الوسيلة التي فتحت عقولَ الأوربيين. **والرابع**: يقول بأنّ الحروب الصليبية كانت أحد المعابر الحضارية إلى أوروبا بالإضافة إلى معابر أخرى وهي الأندلس وصقلية وبيزنطة.

وعبر ذلك حدّد العبيدي مظاهرَ

التأثير التي وافق فيها الرأي الرابع وشملت مناحي الحياة المختلفة. وعَرَضَ لها في جوانب ستة، وهي المؤثّرات الدينية واللّغوية والفكرية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

إنّ هذا التأثير - كما يرى العبيدي - قد أدركه الأوروبيون وإنْ كان ذلك متأخّراً، فجاءت كثيرٌ من الكتابات المنصفة للحضارة الإسلامية وتأثيرها. والمهم في هذه الكتابات أنها انتقدت من جَحَدَ هذا التأثير الإسلامي من الأوربيين ولم يعترف به. واستشهد العبيدي بقول الأستاذ روبرت بريفالت: «إنّ النهضة الحقيقية - الأوروبية لا ترجع للقرن الخامس عشر فحسب، بل إلى تأثير العرب والمغاربة في إنهاض الثقافة».

وفي الإطار نفسه قدم إبراهيم جوب ورقةً صغيرةً، تلحّ على الأفكار نفسها التي طرحها إدريس، وذلك من خلال رصده لقضايا العالم الإسلامي الباقية من الإرث الاستعماري الأوروبي. وجاء لدى إبراهيم جوب: «أنّ مسؤولية الأمّة الإسلامية اليوم ومصالحها القريبة والبعيدة تدعو إلى مزيد من معرفة الغرب والغربيين معرفةً موضوعية، وتدعو إلى الجنوح إلى السلم والحوار بدل العداء والصدام».

ومن جانب آخر، وبمصطلحات حداثية، قرأ فهمي جدعان محاور العلاقة بين الإسلام والحضارة الغربية في ورقته: «الإسلام وتحوّلات الحداثة» التي استهلّها بالقول: «قدِّرْتُ مرّةً - ومازلت عند هذا التقدير - أن بواكير الإسلام الحديث تبدأ بوعي ابن خلدون لواقعة الأفول في العمران الإسلامي ولواقعة قدوم أمة جديدة سيُهيِّئُ لها أن تؤسس عمراناً جديداً هي أمّة بني عثمان». وهنا يركّز جدعان على العلاقة التي نشأت بين العالم الإسلامي - إبان الفترة العثمانية - وبين الغرب، ويرى أنّها ذات وجوه ثقافية على رغم طابعها العسكري.. وأنّ هذه العلاقة اشتدّتْ وتشابكتْ منذ أواخر القرن الثامن عشر ومطالع القرن التاسع عشر، حيث بات بيِّناً أنّ عالم الإسلام - كما يرى - أصبح يسير «على ساعة» خطو الغرب والحداثة الغربية وإيقاعهما. وحين دخل هذا العالم في القرن العشرين انقطعت تماماً الدائرةُ المغلقةُ التي كانت تسوّره أو كان هو يتسوّر بها، وأصبح كلُّ شيء محكوماً بالمبادرات الغربية وبالاختراق الحداثي، لا للفضاءات العربية من عالم الإسلام التاريخي فحسب وإنّما أيضاً للفضاءات غير العربية من هذا العالم. وقد ذهب بعضُ مفكرينا من المعاصرين إلى أنّنا أفرطنا في البحث عن ملامح التشابه بين حداثتنا وحداثات «الآخر» بما جعل «الآخر» الإطارَ المرجعيَّ في كل الأصول، وجعل من إنجازات حداثاتنا انعكاساً لصورة هذا «الآخر». ورصد جدعان ثلاثَ مراحل تردّد فيها الفكرُ الغربيُّ هي «مرحلة ما قبل الحداثة»، و«مرحلة الحداثة»، و«مرحلة ما بعد الحداثة». وارتأى أنّ عالم الإسلام الحديث يحيا اليوم هذه الأشكالَ الثلاثةَ في الآن نفسه بدرجات متفاوتة. وأشار إلى أنّ الحداثة لم يترتّب عليها قطعُ الروابط بين السماء والأرض، أو التسليم بأنّ الرؤية الدينية والوحي هما من مخلّفات «ما قبل الحداثة»، إذ ليس ثمّة من أحد اليوم في الفضاءات الإسلامية نفسها يتنكّر لوقائع العلم والعقل، ولأمر التنمية والتقنية و«لخيرات الحداثة» المتعلّقة بالمنافع المتولدة عن تطوّر العلم والتقنية. وتحدّث جدعان عن بعض العوائق التي تقف أمام تقدّم المجتمعات الإسلامية بالنسبة لمسائل العدالة والحرية وغيرها، وألمع إلى أنّ سمات ما بعد الحداثة هي: السؤال، والقلق، والشك، والنسبية، وانزياح الموضوعية، واليقين العلمي والفلسفي، وهي سمة تخصّ الحضارة الغربية بالذات.

أما الكلمة التي ألقاها عبد الله بن عبد المحسن التركي، فتمثّل آخر الآراء التي يتضمّنها هذا الجانبُ الخاصّ بموقف الإسلام من الغرب، وذلك عبر رصده للجهود التي تقوم بها المملكة في خدمة الإسلام والمسلمين في الغرب ويتمثّل ذلك في إقامة المساجد والمراكز الإسلامية، وإنشاء المعاهد لدراسة العلوم العربية والإسلامية، والمنح الدراسية، والمعونة الثقافية بالمراجع والكتب ووسائل البحث وأجهزته، وطباعة المصاحف الشريفة، وترجمات معاني القرآن.. هذا فضلاً عن الجهود الخاصة والشعبية والهيئات الخيرية.

قراءة الحضارة: الآخر.. الأنا

خمسة طروح أبداها كلٌّ من صمويل هانتنجتون وإنجمر كارلسون ورالف بريبانتي وجون اسبوزيتو ومراد هوفمان، تمكّننا من أن نستشفّ الملامحَ البادهة لرؤية الغرب إلى الإسلام، مع الأخذ في الاعتبار أنّ مراد هوفمان ينتمي إلى الغرب فكرياً، وإلى الإسلام عقيدةً وروحاً. ويمكن تلخيط هذه الطروح في عدّة نقاط:

١ - عند صامويل هانتنجتون:

- الإسلام ليس ديناً فحسب، ولكنه نموذج حياة أيضاً.

- هناك فارق بين «التطوّر» و«التغرّب»؛ والمسلمون «متطوّرون» لا «متغرّبون» فلديهم ثقة في أنفسهم كبيرة.

- هناك خيار بالنسبة للبلدان غير الغربية، وهو أن تكون التنميةُ من داخل ثقافتها، وهذا أمر منتشرٌ في «الصين» على سبيل المثال.

- العنصر الأساسي الذي يؤثّر على صورة الإسلام في الغرب، هو تأثير ما يسمّى بـ«الأصولية الإسلامية».

- الصدام ممكن أن نشاهده فيما يُكتب في الصحف، والإسلام يعتبر بمثابة «أخبار مهمة» وجديدة في أوروبا وأمريكا وكندا.

٢ - لدى جون اسبوزيتو:

- الجماعات الأصولية الإسلامية لا

ترى في الغرب أيّةَ قيمة إنسانية. بل إنّ بعضها ينظر لقوّات «حفظ السلام» مثلاً على أنّها قوّات معادية.

– الغرب مدين جداً للحضارة الإسلامية، وما يعتبره هانتنجتون «مشكلة سكانية» مجرّد خرافة.

– علينا أن نميّز بين الإسلام بوصفه ديناً سمحاً، وبين ما يقوم به بعضُ المسلمين من استغلال للدّين.

– التطرّف موجود عند المسيحيين بصورة أعنف، إذ إنّ بعضهم يفجّر عيادات «الإجهاض»؛ وهذا غير موجود لدى المسلمين.

– طموحنا الوحيد هو أن يسود السلام، ومفهوم «خطر الإسلام» مفهومٌ مبالغ فيه جداً.

– الحكمُ من بُعْدٍ هو الذي يزيد من صورة الإسلام السلبية لدينا.

– علينا أن نفكّر في التحدّيات التي تواجهنا جميعاً، لا في التهديد. وعلينا أن نبحث عن الحقيقة دائماً.

٣ – عند «مراد هوفمان»:

– هناك تفرقة واضحة، وتعصّب وانحياز إلى الحياة الغربية، ورفض الإسلام والوقوف ضد مظاهره وأسسه.

– التطرّف أشدُّ قسوة لدى الأوروبيين، وظواهرُ الانحلال والشوفينيّة دليلٌ على هذا التطرّف.

– تعدُّدُ الديانات والطقوس في أوروبا من الحكمة الإنسانية إلى تناسخ الأرواح إلى طقوس العبادة الشيطانية الجسدية.

– الحكم في الغرب على أيّ مسلم بأنّه «مسلم متعصّب» لا يقابله الحكمُ نفسه بالنسبة للكاثوليكي أو الأرثوذكسي؛ وهذا يخفي وراءه نظرةً متعصّبة جداً.

– هناك عدّة عقليات تحكم أوروبا: عقلية المخبأ والشيطنة، عقلية الحروب الصليبية وصدمتها، الأعراض المزمنة للإهانة والغيرة...

– الموقف الأوروبي كان سلبيّاً جداً ومتعصّباً جداً بشأن قضية «البوسنة».

– علينا أن نقوم بجهد شخصي بالتدريج لإعادة تشكيل موقف الغرب من الإسلام، ويجب على الجانبين أن يغتنما كلَّ فرصة سانحة للدخول في حوار جاد وصريح خصوصاً بين الأحزاب السياسية ووسائل الإعلام والجامعات والمؤسّسات الدينية.

٤ – عند «إنجمر كارلسون»:

– الإسلام دين معترفٌ به في السويد، ويبلغ عدد المسلمين نحو ٢٠٠ ألف مسلم.

– هناك مفاهيم خاطئة متبادلة بين المسلمين والأوروبيين.

– يجب علينا في أوروبا أن نزيد من معرفتنا بالإسلام وبالمسلمين ويمكن لأوروبا أن تحقّق دمجَ الإسلام المتسامح فيها.

– يجب الاعترافُ بالإسلام باعتباره ديناً محلّياً في كلّ بلد أوروبي.

– يجب أن يقوم حوارٌ لإنهاء التوتّر بين الإسلام والمسيحية على جميع الأصعدة.

٥ – عند «رالف بريبانتي»:

– الإسلام أصبح قوّة متجدّدة في الخمسين عاماً الأخيرة.

– هناك مفهومان لدى الغرب بالنسبة للموقف من الإسلام: مفهوم «خطر الإسلام» الذي يهدّد الغرب، والمفهوم الآخر الذي ينظر إلى الإسلام على أنّه منهج سياسي وعقيدة يجب أخذهما بعين الاعتبار.

– الإسلام لم يحلّل بطريقة إيجابية في وسائل الإعلام الغربية، ورغم ذلك فإنّ الكتب التي تصدر عن الإسلام في أوروبا تدلّ على أنّ الإسلام بدأ يأخذ المكانةَ الصحيحةَ لدى الغرب.

– إن العالم الإسلامي رغم تحرّره من الاستعمار، فإنّ الثقافة الغربية لاتزال تسيطر على جوانب حياة المسلمين.

– الإرهاب ظاهرة عالمية، ولا علاقة بين الإرهاب والإسلام.

– لا حديث عن النظام الدولي الجديد من دون الإسلام، لأنّ الدول الإسلامية قويّة ولا يستهان بها ويجب أن نأخذها – كغربيين – بعين الاعتبار.

– الإسلام يعلّم العالم الآن سلوكاً راقياً وقيماً عالية في ظلّ هبوط الحياة المدنية في الغرب.

– الإسلام قدّم – ويقدّم – حلولاً للمشكلات الغربية ولاسيّما الاجتماعية، لكنّ هذه الحلول لم توضع حتى الآن أمام الرأي العام الغربي، ومن هذه المشكلات: الإجهاض، وانتشار جرائم العنف، والإساءة إلى الأولاد والزوجات، وشيوع الأمراض الجنسية.

– يجب أن يكون هناك تعاون ضروري بين العالمين الإسلامي والغربي.

مداخلات عن المستقبل:

قدم كلٌّ من خالد بلانكنشيب، وجيمس زغبي، وعثمان الرواف، تصوراتٍ كثيرةً في مداخلاتهم عن مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب. فقد قدّم الأوّلُ تصوّراته عن حياة المسلمين في الولايات المتّحدة الأمريكية، ومستقبل هذه الحياة، والنظرة السلبية التي تنظر بها وسائلُ الإعلام الأمريكية للمسلمين والتي تمثّل موقفاً عدائيّاً ضد الإسلام وهي بصورة عامة لا تستخدم الحقائقَ استخداماً عادلاً في محاولة تحليل الموضوع. كما أنّ العالم الإسلامي لا يشكّل خطراً على الغرب؛ فليس لدى الدول الإسلامية قوى عسكرية يمكن أن تنافس الأسلحة النووية المتوفّرة لدى الدول الغربية. وباختصار فإنّ المسلمين لا يتحكّمون بأيّ شيء على النطاق العالمي، ولكنّهم خاضعون لتحكّم غيرهم بهم. إنّ الإسلام رغم ذلك هو أكبرُ عقيدةٍ في العالم رغم أنّه يأتي في المرتبة الثانية بعد المسيحية من حيث الحجم، لكنّ المسيحية تفتقر إلى الوحدة، وقد أضعفتها قرونٌ من

المعارك الخاسرة ضد المذهب المادّي في الغرب.

وأشار جيمس زغبي إلى موقف الغرب من الإسلام، خاصة في أمريكا وذكر أنّ الإسلام أصبح له وجودٌ محترم في أمريكا وعلى أعلى المستويات ويجب أن نعرف من هو عدوّنا بالضبط من دون أن نعمّم، وأن نتجنّب المواقف السلبية التي تسيء إلى الإسلام، ويجب الاستمرار في عملية تغيير المفاهيم عن الإسلام في أمريكا.

وعرض د. عثمان الرواف بعض المرئيات المستقبلية، ومنها: إعادة قراءة التاريخ الخاص بعلاقة الإسلام بأوروبا، وتوسيع قاعدة الحوار الديني بين الإسلام والمسيحية، وتقوية الروابط الاقتصادية بين الطرفين، إلى جانب دعم مسيرة السلام في الشرق الأوسط والبوسنة ومواجهة الحركات العنصرية في أوروبا. ورأى أن هناك شروطاً يجب استيفاؤها عند دراسة العلاقة بين الإسلام والغرب منها: - الاعتماد على الماضي والابتعاد عن التحيّز، وعدم الاكتفاء بتقديم تصوّر أحادي أو بديل للمستقبل والتركيز على استشراف آفاق المستقبل القريب والبعيد.

تعقيبات ومداخلات:

أثارت الأوراق والطروحات المقدّمة انتباهَ عدد كبير من المثقّفين والحضور الذين شاركوا في الجلسات البحثية والمحاضرات الخاصّة بمحور الإسلام والغرب. ومن أبرز المداخلات والتعقيبات ما طرحه كل من أمير طاهري، وهشام ملحم.

أمير طاهري قال: إنّ الحضارات لن تتصارع بل هي تتبادل وتتشارك. وأشار إلى أنّ الحديث عن المستقبل هو حتى الآن من قبيل «التسلية» التي تجانب الحقيقة. وقال: إنّ الإسلام حضارةٌ ومفهومٌ كامل، ولكن فَهْمَ الإسلام من قبل الآخرين فهماً صحيحاً هو ما لم نستطع توصيلَه بشكل كافٍ. وفيما ألْمَحَ إلى عدم وجود سياسات إسلامية مشتركة أو منسقة قال: إنّ الغرب له تراث مشترك مع العالم الإسلامي قديماً وحديثاً، وإنّ الغرب لم يستطع حتى الآن أن يصل إلى طبيعة الوحدة أو الكيان الواحد، ولكن هناك تفاعلاً بين الحضارتين الإسلامية والغربية. وأكّد على الحضور الإسلامي الكبير في الدول الغربية، وهو حضور يذهل الكثيرين في كافّة المجالات، وأنّ العلاقة بين الإسلام والغرب ليست علاقة جديدة.

أما هشام ملحم فقد أشار إلى أنّ العرب والمسلمين قدّموا إسهاماً ثقافياً حضارياً أثّر في مختلف الجوانب إبان النهضة الأوروبية. وأكّد على أنّ العالم العربي كانت لديه فكرة مختلفة تماماً عن الإسلام وعن الشرق «الروحي» وأنّ الحدود بين الشرق للغرب حدودٌ مصطنعة. وقال: إنّ العالم الإسلاميّ مليءٌ بالتناقضات، ومع ذلك فهو متنوّع ومتعدّد. وألمَحَ إلى أنّه لا يوجد أيُّ خطر محتمل من قبل الإسلام على الغرب، وليست هناك مدعاة لخلق صراع حقيقي بين الإسلام والغرب. والمسألة كلّها ترتبط بالثقافة والحفاظ على الكينونة، كما تفعل دولٌ أخرى غيرُ إسلامية مثل اليابان التي حافظت جيّداً على كينونتها وثقافتها.

ملاحظات عابرة:

لقد قدّم المهرجان إشراقة ثقافية ساطعة، شغلت اهتمام القرّاء والمثقّفين طوال انعقاد الندوات الثقافية. لكن ثمّة ملاحظات على البحوث والأوراق المقدّمة وطريقة التحاور، تتمثّل في التالي:

١ - إن أغلب الأوراق المقدّمة تفتقر إلى الدقّة المنهجيّة والمصطلحيّة، وإلى رحابة الأفق الذي لا يطلُّ من مرآة واحدة بل يرى إلى التعدّد باعتباره النهجَ الأوفقَ لطرح المفاهيم والأفكار والجدل حولها. ونرى ذلك خصوصاً في أوراق جعفر شيخ إدريس، إبراهيم جوب، راشد العبيدي. كذلك فإنه معظم الأوراق قدّمت على شكل مقالات أو انطباعات لا أوراق بحثية منهجية، خاصةً ما قدّمه مراد هوفمان وخالد بلانكنشيب.

٢ - عدم التفريق في الكلام - من قبل الباحثين المسلمين - بين «الإسلام» بوحدته وبتعدّده وتنوّع أفكاره وقيمه، وبين «المسلمين» الذين يعانون في غالبيتهم من الأميّة المعرفية سواءً في الفقة أم في الفلسفة والإبداع الفكري المنهج. ولم نتساءل هل نخاطب «الغرب» بوصفنا مسلمين «عقلانيين»، أم بوصفنا «نقليين»؟ وهل نخاطبه باسم «الإسلام» أم باسم «المواطنة» والشروط المجتمعية الشرقية؟

٣ - لم تتخذ الحوارات شكل المناظرات وشكل الطرح الحواري الشامل العميق، وإنّما اتّخذ شكل الإشارات والتنبيهات، والتعليق على الجزئيات والتفاصيل البسيطة، مع طرح كليّة الرؤية الموضوعية وانبثاقها المعرفيّ جانباً.

٤ - هل كان الحوار يتمّ من منطلق ديني أم من منطلق فكري أم من منطلق سياسي؟ وهل كان حواراً شاملاً؟ هذا هو السؤال الذي لم يُسأل تماماً.

على رغم ذلك يبقى للنشاط الثقافي في المهرجان هذا الأفق المشرق الذي مثّلته الندوات، وأتاحت للحضور فكرة التساؤل، والتأمّل والتطلّع إلى أفق متوهّج موضوعي يخصب البحث ويحدّد أركان العلاقة بيننا وبين الآخر (غربياً كان أم شرقياً)، ويضع الهواجس والإرهاصات الأولى لتأسيس وعي عربي مسلم له رسوخه وتنوّعه وتعدّده الحضاري الشامل.

الرياض